ظاهرة القلب المكاني
وأثرها في التحولات البنيوية
في الكلمة العربية دراسة وصفية صوتية

الدكتور
عادل مسلم الربطة

ملخص

ثمة ظواهر كثيرة جرى عليها كثير من الدراسات الحديثة للغات الإنسانية بشكل عام، وعُنيت بدراسة شتى جوانب التشكيل اللغوي والصرفي والصوتي لأي لغة، وقد رأيت أن من هذه الظواهر التي أثرت في بنية الكلمة العربية ظاهرة القلب المكاني، وأنها كانت سبباً رئيساً لتحولات صوتية طرأت على كثير من مفردات اللغة العربية.

Abstract

There are many phenomena that have been adopted by many modern linguistic studies of human language in general , it has studied the various aspects of the linguistic configuration of any language , I have seen that one of these phenomena that affected the structure of Arabic word (Metatheses) many vocabulary of arabic.

Hence the idea of this research to cover the aspect may be important , the aspect related to the exchange of places between the voices in many formulas and words in Arabic.

المقدمة:

عُنيت ظاهرة القلب المكاني في العربية باهتمام عدد من اللغويين القدامى، وأفاضوا بالحديث عنها واستأثرت لديهم بمؤلفات عديدة، منها ما كان على شكل مؤلفات مستقلة على نحو ما نرى عند ابن السكيت في (القلب والإبدال)، وأبي الطيب اللغوي في (الإبدال)، والميداني في (نزهة الطرف) وغيرهم، ومنها ما كان قد بحث في هذه الظاهرة ضمن بحوث لغوية أخرى، على نحو ما يطالعنا به سيبويه في (الكتاب) وابن جني في (الخصائص، والمحتسب، وسر صناعة الإعراب)، والأستراباذي في (شرح الشافية)، وغيرهم.

والذي يهمنا في هذا المقام هو ملاحظة القدماء في بحثهم لهذه الظاهرة، أن معظم الصيغ والكلمات العربية التي استقرأوها بوصفها أمثلةً وشواهدَ لهذه الظاهرة إنما هي – في الغالب – مهموزة أو معتلة [١]، وتنبُّهُهُم إلى أن صعوبةَ النطق وثقلَه المتأتيين من تجاور بعض الحروف وبخاصة حروف العلة والهمزة، قد يكونان السبب وراء قلب كثير من الصيغ في العربية، يقول سيبويه: " إنما قلبوا كراهية الواو والياء، كما همزوا كراهية الواو والياء... ومثل ذلك (أيْنُق) إنما هو (أوْنق) في الأصل فأبدلوا الياء مكان الواو وقلبوا... ومثل ذلك (القِسِيّ) إنما هي في الأصل (القُوُوس) فقلبوا كما في (أيْنُق) " [٢]، ويقول ابن دريد:" اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها، كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت...

(١) انظر: الأستراباذي، رضي الدين بن محمد، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت: ١٢/١.

(٢) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت(د.ت)، مصور عن طبعة الهيئة المصرية للكتاب: ٢/ ١٢٩.

واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة، لصعوبة ذلك على ألسنتهم "[١].

ومثل ذلك فعل المستشرقون إذ عزوا سبب القلب الذي يحدث في الكلمات العربية إلى صعوبة النطق بالأصوات المتجاورة، وهذه الصعوبة هي التي كانت سبباً في التبادل في مواقع الأصوات، فهذا (برجشراسر) يستنتج أن أصل التغير بتقديم الأصوات وتأخيرها قريب من أصل التخالف، ويحمل كثيراً من الصيغ في العربية على تجنب النطق في المقاطع التي تتجاور فيها همزتان، من نحو (آرُس) و(آبار) وغيرهما، ويرى أن حذف الهمزة الثانية في مثل هاتين الصيغتين والتعويض منها بمدّ الحركة هو مما تختص به العربية وحدها، كما يرى أن تسهيل النطق سببه المخالفة بين الصوتين المثلَيْن إذا تجاورا بقلب أحدهما [٢].

ولعل القوانين الصوتية تعزز رأي (برجشراسر) هذا، إذ تنص على أن توالي الهمزتين في مقطع واحد أو في مقطعين متجاورين، يؤدي إلى حذف الهمزة الثانية والتعويض منها بمدّ الحركة، لأن ذلك أخفُّ وأيسرُ [٣].

كما يفسر (فندريس) ظاهرة القلب المكاني على أساس السهولة والتيسير كذلك، وأن اللغة تسير نحو الأيسر في النطق، وأن الانتقال المكاني يصدر عن الأصل نفسه الذي صدر عنه التشابه فمردّ الأمر في كليهما إلى الخطأ ونقص

---

(١) ابن دريد، محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٤٦هـ : ١٨/١، حسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة** المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة ١٩٥٥م، ص: ١٦٨.

(٢) انظر: برجشتراسر،ج، **التطور النحوي للغة العربية**، ترجمة رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي الرياض١٩٨٢م: ص٤١ و٤٢ و٩٢.

(٣) انظر: الخليل، عبد القادر مرعي، **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**، منشورات جامعة مؤتة ١٩٩٣م، ص:١٤٥، والمختون، محمد بدوي، **ظاهرة القلب المكاني في العربية، عرض وتحليل وتفسير**، ص: ٣٠٢.

الالتفات، غير أن النتيجة تختلف، فبدلاً من تكرار الحركة النطقية مرتين يُعمَد إلى تغيير العناصر [١].

كما أن (بروكلمان) ألمح إلى علاقة وطيدة بين ظاهرة القلب المكاني وظاهرة المخالفة بين الأصوات وأن سبب ذلك هو صعوبة التتابع بين أصوات الكلمة على الذوق اللغوي، لذلك يحدث التقديم والتأخير بين أصواتها، ونص على أن ذلك لم يكن مقصوراً على العربية وحدها، بل يحدث كذلك في اللغات الأجنبية[٢].

أما الباحثون المحدثون العرب فإنّا واجدوهم يترسمون خطى المستشرقين ويدورون في فلكهم عند تصدّيهم لبحث هذه الظاهرة، فهذا إبراهيم أنيس يتحدث عن ظاهرة المخالفة ويجعل منها زاوية من الزوايا التي تعالَج وفقها ظاهرة القلب المكاني، ويحشد لها إذ ذاك كثيراً من الأمثلة في العربية مرجعاً سببها جميعاً إلى أن العربية تسعى إلى تلمّس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي في النطق، وأن المخالفة تحدث عند اتصال الأصوات في الكلمة العربية، ثم يعمّمها القياس، عادّاً كلَّ ذلك من باب التطور في اللغة [٣].

وكذلك رمضان عبد التواب الذي يرى صعوبة تتابع الأصوات على الذوق اللغوي هو السبب في تقديم بعضها على بعض، معللاً ذلك بنظرية السهولة والتيسير أيضاً [٤]، كما نجد بعضهم يفسر هذه الظاهرة بوحي من نظرية النحو

---

(١) انظر: فندريس، ج، **اللغة**، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة (د.ت):ص٩٤.

(٢) انظر: بروكلمان، ك، **فقه اللغات السامية**، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧ م: ص ٨٠ و ١٤٤.

(٣) انظر: أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٦١م: ص ٢٧١.

(٤) انظر: عبد التواب، رمضان، **التطور اللغوي – مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٠م : ص ٥٧.

التوليدي التحويلي، ويعدّ الصيغة المقلوبة إحدى الاحتمالات والافتراضات الكامنة في البنية الدلالية الباطنية لدى التفكير الإنساني فيما وراء الوعي، وأن اختيار المتكلم لها يمثل البنية الظاهرة التي طفت على السطح لسهولتها وخفتها على لسانه (١).

ومنهم أيضاً محمد بدوي المختون، الذي يصرح بأن من الأغراض اللفظية لظاهرة القلب المكاني التوسعَ والتفننَ في الأساليب ، وتيسير النطق واستقامة الوزن (٢).

وأودّ أن أشير إلى أنني في هذا المقام لست بصدد استعراض جميع الدراسات التي بحثت في هذه الظاهرة بل لأخلص إلى القول إن من الملاحظ على مجمل دراسات القدماء أنها قد تركزت على بحث هذه الظاهرة اللغوية من الناحية الصرفية في بابي الإعلال والإبدال.

أما الدراسات الحديثة فبحثت في هذه الظاهرة في ضوء نظرية السهولة والتيسير من جوانب صوتية متعددة من هنا جاءت فكرة هذا البحث لتغطي جانباً من هذه الجوانب ألا وهو الجانب المتعلق بالتتابعات الصوتية المستثقلة، باعتباره السبب الذي يؤدي باللغة إلى أن تجنح بكلماتها نحو أسهل لفظ وأيسره، ولعل ذلك يكون أساساً صالحاً في تفسير هذه الظاهرة اللغوية، اعتماداً على ما أوحت به معظم النظريات الصوتية الحديثة.

وقد نهجت في هذا البحثِ المنهجَ الوصفي الاستقرائي الذي يصف الظاهرة اللغوية كما هي، فعمدت إلى جمع ما استطعت أن أضمنه هذا البحث من صيغ

---

(١) انظر: الراجحي،عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، دار النهضة للطباعة والنشر بيروت،(د.ت): ص ١٠٢، الخولي محمد علي، **النظريات التحويلية واللغة العربية**، مجلة كلية التربية جامعة الرياض، الرياض،ع١، السنة الأولى،١٩٧٧م: ص١٩٧.

(٢) المختون، محمد بدوي، **ظاهرة القلب المكاني في العربية، عرض وتحليل وتفسير**، ص: ٣١٠.

تجلت فيها ظاهرة القلب من لسان العرب، على نحو ما أوحت به الدراسات السابقة التي خَلُصت إلى أن الصيغ المقلوبة في العربية غالباً ما تكون مهموزة أو معتلة وصنفتها ورتبتها فبدأت بالمهموز منها ثم ثنيت بالمعتل، وعمدت إلى دراسة كل صيغة مركزاً على الناحية الصوتية على النحو الذي ستتبين تفاصيله في ثنايا هذا البحث.

معنى القلب:

لست بصدد بحث ما تحمله كلمة (القلب) من معانٍ سواءٌ من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية خشية أن يُعدّ ذلك من قبيل التكرار والحشو اللذين لا فائدةَ علميةً تُرتجى منهما، غير أنني أرى أنه لا بدّ من الإشارة إلى أن اللغويين يكادون يُجمعون على أن مادة (قلب) لا تكاد تخرج من حيث معناها الاصطلاحي عن أمرين:

الأول: التقديم والتأخير فيما يخص أصوات الكلمة المقلوبة الواحدة، أو تقديم كلمة على أخرى إذا كان القلب بين الكلمات، أو تقديم معنى على آخر إذا كان القلب بين المعاني.

وأما الأمر الثاني فهو تغيير الحكم إذ إن المعنى الاصطلاحي لهذه المادة يختلف باختلاف العلم الذي يبحثه ؛ فمعناه اللغوي أو النحوي غير معناه الشرعي [1]، وما يعنيني في هذا البحث هو القلب المتحقق بين أصوات الكلمة الواحدة.

ويمكنني أن أقول – بعد تتبع الكلمات التي تجلَّى فيها القلب من لسان العرب –: إن أغلب تلك الكلمات إنما هي مهموزة أو معتلة، وبتعبير صوتي: تتجلى فيها تتابعات صوتية مستثقلة، تلك التتابعات كان صوت الهمزة وأصوات

(١) انظر: الحموز، عبد الفتاح، ظاهرة القلب المكاني في العربية عللها وأدلتها وتفسيراتها و أنواعها، دار عمار، عمان، ١٩٨٦م.: ص١١-١٣.

المدّ وأنصاف المدّ تلعب فيها دوراً رئيساً، وتتحكم في تقلباتها، ولعل في ذلك ما يعضد رأي اللغويين القائل بأن تفسير القلب يكمن في أنه يكثر في المهموز والمعتل من الألفاظ [١].

ولعلي – قياساً على ما سبق، ومن خلال دراسة التحولات التي تعتري الصيغ التي تشتمل على ظاهرة القلب المكاني – أستطيع تعريف هذه الظاهرة بأنها: إحدى الطرائق التي تسلكها العربية للتغلب على التنافر الصوتي الذي يُحدثه تتابع بعض الأصوات في الكلمة العربية، وبخاصة تتابع أصوات المدّ، وأنصاف المدّ والهمزة غالباً.

وهو جانب مهمّ ولكنه ليس وحيداً إذ ربما خضعت عملية القلب المكاني للصور الذهنية المتعلقة بتصوير الكلمة في الدماغ، إذ يمكن أن يحدث تغيّر في الصور الذهنية للكلمة فتخرج على صورة أخرى وهو رأي المستشرق (برجشتراسر)، الذي ذهب إلى أن حرفاً من حروف الكلمة يُقدَّم، وآخرَ يؤخر مكانه، وعلته أن تغيّرَ ترتيب الحركات في التصورات أسهلُ من تغيرها الموجب للتخالف، مستشهداً على ذلك بما يحصل في الآلة الكاتبة، إذا ما أُريدَ كتابة جميع الحروف اللازمة، ولكن على ترتيب غير ترتيبها عند السهو أو عدم التيقّظ[٢].

ويقول يحيى عبابنة، معلقاً على رأي برجشتراسر السابق: "والحقيقة أن العلة الذهنية وحدها غير كافية لتفسير جميع مظاهر القلب المكاني، لأننا نجد من هذه المظاهر مفسّراً لتصورات تتعلق بفيزيائية الصوت كأخطاء السمع أو صعوبة النطق(فيزيائياً)، وهي عملية متبادلة كما نرى، إذ إن السامع – وهو جزء مهمّ من

---

(١) انظر: الأستراباذي، **شرح الشافية** : ٢١/١، و المختون، محمد بدوي، **ظاهرة القلب المكاني، في العربية، عرض وتحليل وتفسير**، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع١١، م٥، ١٩٨١م، ص: ٣٠٠-٣٠١.

(٢) برجشتراسر،ج، **التطور النحوي للغة العربية**، ترجمة رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة،ودار الرفاعي الرياض١٩٨٢م ص: ٣٥.

العملية اللغوية – مسؤول عن إعادة ترتيب أجزاء الكلمة، نتيجة لعمليات فيزيائية بعيدة عن التصورات الذهنية كما أن المتكلم من الناحية الفيزيائية، قد يكون طرفاً في إجراء هذه التغييرات بصورة تلقائية، ليست التصورات الذهنية سبباً فيها، بل إن السبب يمكن هنا في النمط اللغوي، فقد اشترك في هذه العملية الأطراف المختلفة للعملية اللغوية (المتكلم والسامع والاستعمال المنطوق فعلاً)، وربما استطعنا إشراك البيئة الفيزيائية السائدة في لحظة ما(كالهواء، وهو الوسط الفيزيائي للصوت، والمحيط الطبيعي بعناصره المختلفة) ومن ثمّ يجري ما يمكن أن نسميه تعميم استعمال النمط الجديد " [1].

(١) عبابنة يحيى القاسم، **دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية**،دار الشروق،عمان ٢٠٠٠م ص ١٤٥.

القلب المكاني وأثره في التحولات الصوتية في بنية الكلمة في اللغة العربية :

بات من المعروف في علم الصوت الحديث أن الأصوات اللغوية، في أثناء التأليف الفونولوجي يؤثر بعضها في بعض ويتأثر به، وهذا التأثير والتأثّر: إما أن يتخذ اتجاهاً متآلفاً، وعندها تظل أصوات الكلمة ثابتة وغير متغيرة لانعدام ما يدعو إلى ذلك التغير، وإما أن يتخذ اتجاهاً يتسم بالتنافر، وعندئذٍ تتخذ أصوات الكلمة أوجهاً مختلفة في سبيل التغلب على ذلك التنافر، قد يكون منها أن يتقارب بعضها من بعض في الصفة أو في المخرج مع بقاء الصوت في موقعه، أو أن تتبادل الأصوات فيما بينها المواقع كأن يتقدم أحدها ويتأخر الآخر مع احتفاظ كلٍّ بصفته ومخرجه.

وأود أن أشير إلى أن التأليف الصوتي لأصوات الذي يتسم بالتنافر يُعدّ أساساً لكثير من التحولات الصوتية التي تطرأ على بنية الكلمة العربية، وفق معطيات القوانين الصوتية، وهو بذلك يعد سبباً من أسباب التطور الصوتي وبالتالي يمدّ المعجم العربي بمفردات جديدة [١].

يشكل القلب المكاني أحد أوجه ذلك التنافر الذي يؤدي بأصوات الكلمة إلى أن تتبادل مواقعها تقديماً وتأخيراً، وهو المراد بحثه في هذا المقام، وهذه الظاهرة تشكل إحدى الطرق التي تسلكها اللغة من أجل أن تعيد إلى الصيغة توازنها في ضوء نظرية السهولة والتيسير، فتنصرف عن بنية يتجلى فيها التنافر الصوتي المؤدي إلى الثقل في النطق، إلى أخرى أقل ثقلاً وأيسر نطقاً، ولقد تبين لي من خلال الصيغ التي جمعتها من معجم لسان العرب أن ذلك القلب المكاني متسبب

(١) انظر: المطلبي، غالب فاضل، **في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المدّ العربية**، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٤م.
، ص:٢٥٩-٢٦٠.

عن التنافر الحاصل في ثلاثة أنواع من التتابعات الصوتية المستكرهة في العربية، وهي:

١. تتابع همزتين في مقطع واحد أو مقطعين متجاورين.

٢. تتابع الهمزة مع أصوات المدّ مع أنصاف المدّ، وهو ما يعرف بالازدواج الحركي(الحركة المزدوجة).

٣. تتابع الحركات المزدوجة.

وهذه التتابعات الثلاثة أوضاع صوتية مستثقلة، لهذا فهي من أكثر السياقات الصوتية عرضة لحركات التطور اللغوي، الأمر الذي جعل باب القلب المكاني كثير التفريعات، وهو بذلك قد أغنى المعجم العربي بمفردات كثيرة، ولعلي أبدأ في شرح هذه التتابعات على النحو التالي:

تتابع الهمز (الصيغ المهموزة) :

يعدّ صوت الهمزة في اللغة العربية من أصعب الأصوات العربية إخراجاً سواء من حيث صفته أو من حيث مخرجه، وهو بذلك يلعب دوراً كبيراً في مجمل التحولات الصوتية التي تطرأ على الكلمات العربية، وغالباً ما تنفر اللغة من ورود الهمزة الواحدة، ناهيك عن ورود همزتين، يقول سيبويه في معرض حديثه عن صوت الهمزة إنها: " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد "[١]، ويقابل الهمزَ التسهيلُ في اللهجات العربية القديمة، ولقد اختلفت تلك اللهجات من حيث استعمالها للهمز والتسهيل، إذ نرى بعضها يجنح إلى الهمز، في حين يؤثر بعضها التسهيل، ويمكن أن نلاحظ ظاهرة الهمز واضحة في واحدة من أهم اللهجات النجدية، وهي لهجة تميم إذ يشير اللغويون القدامى إلى أن الهمز كان شائعاً في تلك اللهجة، وذلك إذا كان " في موضع العين من الفعل ألف ساكنة ما قبلها مفتوح، نحو:

(١) سيبويه، **الكتاب**: ٣/٥٤٨.

رأس وفأس وكأس، في موضع راس وفاس وكاس، أو ياء ساكنة ما قبلها مكسور، نحو: ذئب وبئر، في موضع ذيب وبير، أو واو ساكنة ما قبلها مضموم، نحو: شؤم ولؤم، في موضع شوم ولوم " [١]، في حين كانت اللهجات الحجازية تميل إلى التسهيل في ذلك كله، مثل لهجة قريش وهذيل وسعد بن بكر[٢].

ويذكر لنا بعض الباحثين المحدثين، من خلال المقارنة بين اللغات السامية، أن الهمز كان أقدم من التسهيل في العربية القديمة، غير أنها تُركت في لهجة مكة التي وُضع الخط العربي على أساس النطق بها [٣].

ويستدل بعض الباحثين على أن الهمز سابق التسهيل بأن اللهجات الحجازية كانت تلفظ الكلمات التي من نحو: بئر وكأس وشؤم، بحركات متتالية، كلفظها للكلمات التي من نحو: إبِل، ورسُل، هكذا: بِئِر وكأَس وشُؤُم، وهذا يعني أن الهمزة كانت تأتي بين حركتين قصيرتين، ثم خضعت لقانون الوقوع بين صوتي مدّ، إذ إن وقوع هذا الصوت الانفجاري – الذي يكاد يكون الضد الرئيس لصوت المدّ – في هذا الموضع، يؤدي به إلى السقوط، وهو ما حدث مع الهمز، وبعد السقوط اتحد صوتا المدّ القصيران مكونين صوتَ مدٍ طويلاً بسيطاً واحداً[٤].

ولعل مما يعضد ما ذهب إليه الباحث، أن الدراسات الصوتية المخبرية الحديثة قد أثبتت أن صوت الهمزة يصبح صوتاً غير مستقر وشبيهاً بصوت المدّ إذا ما وقع بين صوتي مدّ [٥]، وقديماً أشار ابن جني إلى أن (عظاء)، دون لحوق تاء التأنيث به هو أصل (عظاءة)، مع التأنيث، ثم دخلت الياء بعد أن وجب

(١) المصدر السابق : ٢/ ١٦٣ – ١٦٤.، وانظر: ابن سيدة ١٣٢١: ١٣٠/١٤.
(٢) انظر: ابن سيدة : ٥/ ٥٤٠، والمطلبي ٨٤، :ص١٧٩.
(٣) انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٤١.
(٤) انظر: المطلبي ٨٤، :ص ١٨٠.
(٥) انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٩٧.

الهمز فأصبحت (عظاية)[١]، ولعل في هذه الإشارة ما يدلل على أن القدماء قد فطنوا إلى مثل هذا الأمر.

وأودّ أن أشير إلى أن بين أصوات المدّ: سواء أكانت أصوات مد طويلة (Long-vowels) أم أنصاف مد (Semi-vowels) من جهة، وبين صوت الهمزة من جهة أخرى تداخلاً فونيمياً واضحاً [٢]، وهذا التداخل جعل العرب ينظرون إلى هذه الأصوات على أنها مجموعة واحدة، وقضية الهمز والتسهيل المعروفة في اللغة العربية تشير بوضوح إلى عمق العلاقة التبادلية بين هذه الأصوات وقد تنبّه القدماء إلى هذه العلاقة، حين عدوا الهمزة من أصوات العلة لاعتلالها وتغيرها، كما في نحو قول الأزهري : " الهمزة كالحرف الصحيح،غير أن لها حالات من التليين والحذف والإبدال والتحقيق، تعتل فيها فأُلحقت بالأحرف المعتلة الجوف، وليست من الجوف إنما هي حلقية في أقصى الحلق " [٣].

وفي الوقت نفسه نرى العربية قد استعملت صوت الهمزة – وهو من الصوامت– وسيلة لإلغاء كثير من التتابعات الصوتية المؤلفة من الحركات (أصوات المد)، وأشباه الحركات (أنصاف المدّ) بوصفها تتابعات مستكرهة ثقيلة، كما في نحو: قاوِل وصحايف وعجايز وبناي، وهي أصول: قائل وصحائف وعجائز وبناء وغيرها من الكلمات، إذ الهمزة ليست من أصل بنائها.

أما فيما يخص الهمز، فسبيله اتجاه التنافر سالف الذكر، لأن العربية تنفر من ورود الهمزة الواحدة لأنها من أصعب الأصوات إخراجاً، وقد وصفها سيبويه

---

(١) انظر: ابن جني ٥٤، ١٢٨/٢.

(٢) المطلبي، غالب فاضل، **في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المدّ العربية**، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٤م، ص:٢٧٣.

(٣) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والنشر،١٩٦٢-١٩٦٧:١٥ / ٦٨٢.

بأنها " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد "[١]، وإذا توالت همزتان في الكلمة الواحد، فإن الأمر يزداد صعوبة، سواءٌ أكان ذلك في مقطع واحد أم في مقطعين متجاورين.

وأما فيما يخص القلب الناتج عن تتابع الهمزة مع الحركات المزدوجة، فمن المعروف أن كلّاً من ظاهرتي الهمز والحركات المزدوجة، من السياقات الصوتية الصعبة، وإذا اجتمعتا في نمط استعمالي واحد، فإن الأمر يزداد صعوبة أيضاً.

ولعلي أكون قد انتهيت مما قد توصلت إليه من صيغٍ مقلوبة من لسان العرب، إلى نتيجة مؤدّاها أن أغلب هذه الصيغ، إنما هي معتلة أو مهموزة، وبتعبير صوتي: يتجلى فيها هذان النوعان من التتابع المستثقل مما أدّى إلى أن تسلك اللغة طريق القلب لكي تتخلص من هذا التتابع بوصفه مستثقلاً، ولعل في ذلك ما يصدّق من ذهب إلى أن أكثر ما يتفق القلب في المعتل والمهموز[٢]، مع أنني لا أنكر أن هناك ألفاظاً في اللغة وردت مقلوبة وليست بمعتلة ولا مهموزة.

كما تنبّه لهذه العلاقة التبادلية بين أصوات المدّ والهمزة أيضاً المحدثون، إذ أثبتوا – مخبرياً– أن صوت الهمزة صوت غير مستقرّ، وأنه شبيه بأصوات المدّ في بعض الأحيان[٣].

وبما أن مفتاح تفسير القلب، يكمن في أنه يكثر في المعتل والمهموز، بحسب رأي العلماء فإن للتخلص من صعوبة التتابعات المستثقلة (التتابع الحركي أو تتابع الهمز) دوراً رئيساً، في تفسير ظاهرة القلب المكاني في معظم الصيغ المقلوبة في العربية، ولا شك في أن ذلك يدور في فلك نظرية السهولة والتيسير التي تسعى إلى تلمس الأصوات السهلة في نطق الكلمة أثناء مسيرتها في التيار

---

(١) سيبويه، **الكتاب**: ٥٤٨/٣.

(٢) الأستراباذي، **شرح شافية ابن الحاجب** : ٢١/١

(٣) عمر، احمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١م، ص:٢٩٧ .

الكلامي، ومن هنا فإننا نستطيع وفق ذلك، أن نعلل فيضاً غزيراً من ألفاظ اللغة العربية، من الناحية الصوتية، ولعلي أستطيع – بعد دراسة تحولات البنية التي تشتمل على أحد هذين التتابعين – أن أفصل في ذلك على النحو التالي :

عند حديثنا عن الصيغ المهموزة– فيما سبق– والتي سجلت فيها ظاهرة القلب المكاني، رأينا أن هذه الظاهرة قد تمّت فيها على صورة التناوب الموقعي بين شبه الحركة – في حالة وقوعها بين صوتيّ مدّ – وواحد من الأصوات الصامتة والأمر نفسه ينسحب على ما كان مهموزاً من الجموع المقلوبة.

ومن ذلك مثلاً صيغة الجمع (ملائكة)، التي اختلف فيها الصرفيون في أصلها وفي مفردها [1]، فهي عند قوم من المفرد (مَأْلَك) على وزن(مَفْعَل)، مشتق من الألوكة، وهي الرسالة فالهمزة فاء الكلمة، فجعلت بعد اللام فقالوا (مَلأَك) بوزن (معفل) والجمع منها (ملائكة) بوزن (معافلة) بعد القلب، وقال آخرون: أصل المفرد (ملأك) من غير قلب ولا نقل، وعلى هذا فعين الكلمة همزة، حذفت تخفيفاً فصار (ملك)، ولمّا جمعت عاد إلى اللفظة ما حذف منها، فقيل: (ملائكة)، وقال فريق ثالث: عين المفرد واو من (لاكَ يلوكُ) إذا أدار الشيء في فيه فكأنّ صاحب الرسالة يديرها في فمه، وعليه يكون أصل مَلَك (ملاك) بالألف، ثم حذفت عينه تخفيفاً، وأصل الجمع (ملاوِكة) أبدلت الواو همزة، وقال فريق رابع: الميم في (ملك) أصلية، ولكنها جمعت على (ملائكة) شذوذاً.

وما يهمنا منها هو الجمع المقلوب (مآلكة/ma>ālikah ← ملائكة/ malā>ikah)، وفيه حدث تناوب في الموقع بين الهمزة وصوت اللام، بسبب النبر، لأن النبر لا يصلح له صوت كصوت اللام إذ اللام واحد من الأصوات

(١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ألك) : ٣٩٤/١٠ و (لأك):٤٨٢/١٠ و (ملك) :٤٩٦/١٠، المختون، محمد بدوي، **ظاهرة القلب المكاني، في العربية**، ص:٢٨٩

الصامتة الأكثر وضوحاً في السمع، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين[1]، لذا حلّ محله صوت الهمزة ليستقيم النبر، ولعلّ مما ساعد على هذا القلب، وقوع الهمزة بين صوتي مدّ متجانسين :(الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة) :

مَآلِكة		مَـلائِكة
ma>ālikah	←	malā>ikah
الأصل		التناوب الموقعي بين الهمزة واللام

وكما تناوبت الهمزة موقعها مع اللام، تتناوب مع صوت الميم، في نحو (آماق) التي أصلها (أَمْآق/>am>āk) جمع (مُؤق) فصارت (أَأْماق/>a>māk) ومع صوت الباء في صيغة الجمع (آبار) وأصلها (أَبْآر/>ab>ār)، ومع صوت السين، في صيغة الجمع (آسار) التي أصلها (أَسْار/>as>ār) فصارت (أَأْسار/>a>sār)، ومع صوت الدال في صيغة الجمع (آدُر) التي أصلها (أدْؤر/>ad>ur) فصارت (أَأْدُر/>a>dur)، ومع صوت الراء في صيغة الجمع (آراس) التي أصلها (أَرْآس />ar>ās)، فصارت (أَأْراس/>a>rās).

وذلك يعدّ عند بعض الصرفيين من باب قلب الهمزة ألفاً وجوباً ، يقول الدكتور فخر الدين قباوة : "الجمع للبئر على (أفعال) يتوضَّع على (أبْآر)، وفيه همزتان متقاربتان بينهما حرف ساكن، ولما كان في لفظ الهمزة الثانية بعد السكون شيء من الثقل، وهو مضاعف بوروده بعد همزة أيضاً، نقلت تلك المستثقلة من مركزها المعرقل، لتأخذ موقع الفاء الساكنة من الصيغة (أَأْبار) وهذا يعني أنها ستبدل ألفاً وجوباً، لأنها بعد همزة مفتوحة، وبذلك تصير على بفظ (آبار) أهون مما كانت عليه قبل ، وكذلك قول العرب: آرام من رئم، وآراء من رأي، وآثار من ثأر، وآرس من رأس، وآفدة من فؤاد، والأصل: أَرْآم وأَأْراء وأَثْآر وأَرْؤُس وأفئِدة ،

(١) أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ص :٢٧ و ١٦٩.

وقد استعمل العرب هذه الجموع من غير قلب أيضاً "[١]، وفي هذه الجموع تركب المقطع الأول من همزتين متتاليتين، كانت الثانية منهما عين الكلمة[٢]، وفي كل هذه الجموع وفي غيرها ترتّب على القلب فيها اجتماع همزتين في مقطع واحد: الهمزة الأولى هي السابقة التي زيدت للدلالة على جمع القلة في (أفعال) [٣]، والثانية الهمزة الأصلية في بناء المفرد وصوت الهمزة الواحد إذا ورد في سياق صوتي فإنه يجعل هذا السياق الصوتي مستثقلاً، فكيف بهمزتين معاً في مقطع واحد؟ وذلك لأن الهمزة تعد من أصعب الأصوات إخراجاً، وقد وصفها سيبويه بأنها " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد" [٤]، وهذا يعني أن ورود همزتين متتابعتين، يزيد من صعوبة الوضع، ويجعل منه سياقاً صوتياً مرفوضاً لا تقبله العربية، يقول سيبويه:" فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا "[٥] لهذا تلجأ العربية إلى المخالفة بين الهمزتين عن طريق إسقاط الهمزة الثانية، والتعويض من الخلل الحاصل في البنية إثر هذا الإسقاط بمدّ الحركة[٦]، وتوضيح ذلك بالكتابة الصوتية على النحو التالي:

---

(١) قباوة، فخر الدين، **الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد**، الشركة المصرية العالمي للنشر، لونجمان، ٢٠٠١م ص:٢١٥ –٢١٦ ، وانظر :الحموز عبد الفتاح، **ظاهرة القلب المكاني في العربية عللها وأدلتها وتفسيراتها و أنواعها** ص:٧٨–٨٠

(٢) برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص:٤٠–٤١

(٣) المجالي، عمار ارحيل، **السوابق وأثرها في بنية الكلمة العربية – دراسة صرفية دلالية**، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٣م ص:٢٤١.

(٤) سيبويه، **الكتاب**: ٥٤٨/٣

(٥) المصدر نفسه.

(٦) برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص :٣٩، والشايب، فوزي، **تأملات في بعض مظاهر الحذف الصرفي**، ص :٤٩، و ١٤ الخليل، عبد القادر مرعي **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**، ص:٥

أدْوُر	أأْدُر	أدُر	آدُر
>ad>ur	← >a>dur	← >adur	← >ādur
الأصل	اجتماع همزتين	حذف الهمزة الثانية	التعويض بمدّ الحركة

أبْآر	أآْبار	أبار	آبار
>ab>ār	← >a>bār	← >abār	← >ābār
الأصل	اجتماع همزتين	حذف الهمزة الثانية	التعويض بمدّ الحركة

والتحولات نفسها تنطبق على ما كان من وزن (أَعْفُل) و(أعْفال) بعد القلب ونحو: آدر وآرُس وآماق وآسار وآراس، وغيرها من الجموع مهموزة العين في الأصل، والتي تشكل فيها كلٌّ من سابقة الهمزة، والهمزة الأصلية حدّ ابتداء لمقطع صوتي، فيتوالى عندئذٍ مقطعان يبدأ كل منهما بهمزة – في الأصل – وبعد القلب تجتمع الهمزتان في مقطع واحد، وفيه تكون الهمزة الثانية حدّ إغلاق للمقطع الأول، بعد أن كانت حدّ ابتداء للمقطع الثاني، وسواءٌ أحدث القلب أم لم يحدث، فإن الهمزة الثانية تسقط، ويعوض من هذا السقوط بمدّ الحركة، وفي هذا يقول بروكلمان : "يحتمل أنه قد حدث في السامية الأولى أن حذفت الهمزة من المقطع الثاني في الكلمة التي يبدأ فيها مقطعان متتاليان بالهمزة، ومدّت الحركة للتعويض، وفي العربية القديمة نفذ هذا القانون في جميع الأمثلة المتشابهة، مثل: (أبآر>ab>ār ← آبار />ābār<)" [1]، ويرى برجشتراسر أن حذف الهمزة من نحو هذه الجموع، مع مدّ الحركة تعويضاً مما يخصّ العربية وحدها، ولا يرتقي إلى زمان افتراق العرب عن الأقوام الشمالية [2].

(١) بروكلمان، **فقه اللغات السامية**، ص :٧٥.

(٢) برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص :٤٢.

وكما تتناوب الهمزة مع الصوامت، على نحو ما رأينا في صيغ الجموع السابقة تتناوب كذلك مع أشباه الحركات (y و w) على نحو ما نرى في التحول الحاصل بين صيغتيّ (المَوائِد) و(المَآوِد)[1]، إذ الهمزة وشبه الحركة (w) تبادلتا موقعيهما على النحو التالي:

مَوائِد		مَآوِد
mawā>id	←	ma>āwid
الأصل		التناوب الموقعي بين الهمزة وشبه الحركة (w)

وكذلك في صيغة الجمع (مَساوِئة) في تحولها إلى (مَسائِيَة) مع مخالفة شبه الحركة (w) إلى شبه الحركة (y):

مَساوِئة		مَسائِوة		مَسائِيَة
masāwi>ah	←	masā>iwah	←	masā>iyah
أصل الجمع		التناوب الموقعي بين شبه الحركة (w) والهمزة		مخالفة(w)إلى(y)

وكذلك في صيغة الجمع (اليَآيِئ)، جمع اليؤيؤ وهو طائر من الجوارح [2]، في تحولها إلى (اليَآئي) التي تطرفت فيها شبه الحركة نتيجة التبادل الموقعي بينها وبين الهمزة، مما أدى إلى سقوطها والتعويض من ذلك بمدّ الحركة السابقة :

يآيِئ		يَآئِيْ		يَآءِ		يآئِي
ya>āyi>	←	ya>ā>iy	←	ya>ā>i	←	ya>a>ī

(١) ابن منظور، **لسان العرب** (ميد):٤١٢/٣.
(٢) المصدر نفسه (يأيأ) :٢٠٢/١٢.

أصل الجمع التبادل الموقعي حذف شبه الحركة التعويض بمدّ وتطرف شبه الحركة لتطرفها الحركة

البنى المعتلة : وأقصد بها تلك الصيغ التي اشتملت على تتابع أصوات المدّ مع أنصاف المدّ فيما يعرف بالازدواج الحركي (الحركة المزدوجة)، إذ تبين لي أن القلب في هذا القسم قد اتخذ صوراً الجامع بينها هو تناوب موقعي حدث بين شبه الحركة – بوصفه أحد عنصري الازدواج الحركي– وصوت آخر من الأصوات الصامتة داخل البنية، ومن هذه الصور :

١. نقل نصف المدّ (شبة الحركة) إلى الأمام :

ومن ذلك ما جرى في تحولات كلمة (بودان – جمع بديء) التي عدّها الأزهري مقلوبة، وأصلها (بُدْيان) جاء في اللسان: " والبودان: القُلبان وهي الركايا واحدها بديء، قال الأزهري: وهذا مقلوب، والأصل بُديان فقدم الياء وجعلها واواً"(١).

وبناءً على المفرد لهذه اللفظة وهو(بديء)، إذ الهمزة أصل من أصول الجذر(لام الكلمة)، أقول: لعلّ الأصل في هذا الجمع هو (بُدْءان)، وليس (بُدْيان) كما قال الأزهري، و(بديان)هي التحول الثاني لـ(بدءان) كما يلي :

بديء بُدْءان بُدْ..ان بُدْيان

badī> ← bud>ān ← bud.. ān ← budyān

المفرد الجمع على الأصل سقوط الهمزة حلت شبه الحركة

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (بدأ) :٢٩/١.

(فُعلان) محل الهمزة

وقد يعد هذا التحول فراراً من الهمز إلى الحركة المزدوجة، إذ سقطت الهمزة من الأصل (bud>ān) فنتج عن هذا السقوط مقطع يبدأ بحركة (ā) وهو كما نعلم مرفوض في العربية، لذا حلّت شبه الحركة(y) للتخلص من هذا الحرج، فنتجت الصيغة (budyān) وتطالعنا في العربية ألفاظ كثيرة، حلّت فيها الياء (شبه الحركة y) محل الهمزة، منها مثلاً كلمة (رياء) التي أصلها (رِئاء) أي المراءاة[1]، على حين جاءت على الأصل في قوله تعالى: " والَّذينَ يُنْفِقونَ أموالَهُمْ رِئاءَ النّاسِ... " [2].

ففي الصيغة (بديان / budyān) نرى تشكل تتابع صاعد(yā)، وهو أكثر التتابعات الصاعدة قبولاً ومع ذلك فهي مستثقلة، وبما أن اللغة في تطور دائمٍ الغرضُ منه السهولة والتيسير، فقد عمدت إلى تحول آخر وفيه نقلت شبه الحركة (y) من بداية المقطع الأخير (yān) إلى نهاية المقطع الأول (buy)، تمثل في الصيغة (بودان /buwdān) على وزن (فُلْعان) ؛ فتشكل إثر ذلك مزدوج هابط (uw)، غالباً ما تعمد اللغة إلى التخلص منه بحذف شبه الحركة منه والتعويض بمدّ حركته، لتطفو بعد هذا التحول الصيغة النهائية المتمثلة في (بودان/būdān) على السطح :

بُدْيان بُيْدان بُوْدان بُـ..دان بُودان

budyān ← buydān ← buwdān ← bu..dān ← būdān

تشكل حركة نقل شبه الحركة المخالفة حذف شبه الحركة التعويض

(١) برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص: ٤٠.

(٢) النساء : ٣٨.

مزدوجة صاعدة إلى الأمام بمدّ الحركة

ولعلّ نقل شبه الحركة إلى الأمام، أو تغيير مكانها من بداية المقطع الثاني إلى نهاية المقطع الأول يعود إلى السببين الآتيين :

١. الفرار من كونها تشكل بداية المقطع (yān) فنقلت، ليحلّ محلها الصوت الانفجاري(d):

dān ← yān

التبادل الموقعي بين شبه الحركة وصوت الدال

٢. النبر، إذ إن النبر يؤدي إلى اختفاء صوت المدّ، من المقطع المنبور الذي ينبغي له صوت صامت غالباً ما يكون انفجارياً، لأن النبر يتطلب توتّراً في أعضاء النطق بحيث لا يسمح بمرور الهواء، وهو ما لم تتفع معه شبه الحركة لأنها تعتمد مرور الهواء ؛ فنقلت وحلّ محلها صوت الدال الانفجاري، ليحدث النبر[١].

ويمكن تلخيص ماجرى من تحولات أصابت هذه الصيغة، على النحو التالي:

الأصل (بدءان/ bud>ān)، سقطت الهمزة، وجيء بالياء بدلاً منها فصارت (بديان/budyān) فتشكلت حركة مزدوجة صاعدة (yā)، فنقلت منها شبه الحركة (y) إلى الأمام، ولكن بعد أن خولفت إلى(w) بتأثير الضمة، فصارت (بوْدان /buwdān) وهنا أيضاً تشكلت حركة مزدوجة هابطة (uw)

(١) باي، ماريو، **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر،عالم الكتب القاهرة(د.ت) ص : ١٤٧- ١٤٨ فليش، هنري، **العربية الفصحى – نحو بناء لغوي جديد**، ترجمة عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م ص:٤٩ .

وهي غير مقبولة حذفت منها شبه الحركة (w) مع مدّ الحركة فصارت (بودان /būdān).

وقد تسبق المخالفة نقل شبه الحركة إلى الأمام أو تغير مكانها، على نحو ما نرى في تحولات البنية السابقة، وكذلك في تحولات صيغة (أَنْوُق/ >anwuk) ← (أيْنُق/>aynuk)، وقد يكون هذا النقل دون مخالفة، على نحو ما نرى في التحول الآخر لـ(أَنْوُق />anwuk) ← (أوْنُق/>awnuk) إذ نرى أن صيغة الجمع (أَنْوُق />anwuk)، قد اتّخذت مسارين، نقلت شبه الحركة(w) في كليهما إلى الأمام من بداية المقطع الأخير إلى نهاية المقطع الأول، ولكن مع مخالفتها في المسار الأول، ودون مخالفة في المسار الثاني[1] وفي كلا المسارين تناوبت شبه الحركة مكانها مع صوت النون :

أنْوُق أيْنُق

>anwuk ← >aynuk

المسار الأول

نقل شبه الحركة إلى الأمام مع المخالفة (w ← y)

أنْوُق أوْنُق

>anwuk ← >awnuk

المسار الثاني

نقل شبه الحركة إلى الأمام دون مخالفة

وقد حفظت لنا اللغة العربية هذين النمطين، لكون الحركتين المزدوجتين المتشكلتين (aw) و(ay) مقبولتين، كما هما في(بَيْت /bayt) و(حَوْض/ḥawḍ) ولعلّ في ذلك ما يعضد ما ذكرته سابقاً من أن التتابع المكون

(١) بروكلمان، **فقه اللغات السامية**، ص:٨٠.

من نصفيّ المدّ (w) و(y) وصوت المدّ المفتوح الذي هو الفتحة – قصيرة أم طويلة – تتابع لا يحدث تنافراً أو ثقلاً في النطق، وإنما يحدث التنافر التتابع المؤلف من نصفيّ المدّ المغلقتين اللذين هما الكسرة والضمة.

ولعلّ السبب في انتقال شبه الحركة إلى الأمام، في هذه الصيغة، كما في سابقاتها هو الفرار من كونها تشكل بداية المقطع، فانتقلت ليحل محلها صوت النون، وبسبب النبر أيضاً، إذ يكون واضحاً على المقطع (nuk) أكثر مما هو على المقطع (wuk).

ومن الصيغ التي يتجلى فيها نقل شبه الحركة إلى الأمام للسببين السابقين نفسيهما، صيغة (أوْباش /awbāš>) التي أصلها (أبْواش/abwāš>) اعتماداً على المفرد (بَوْش) جاء في اللسان[1]: " البوش: الجماعة الكثيرة...والأوباش جمع مقلوب منه "، وجاء في موضع آخر جمع (الأوشاب) أيضاً، وفي كلتا الصيغتين تناوبت شبه الحركة (w) مكانها مع صوت الباء :

أبْواش		أوْباش
abwāš>	←	awbāš>
الأصل		نقل شبه الحركة إلى الأمام

أما صيغة الجمع (أوشاب/awšāb>)، فتمثل تحولاً حدث فيه التناوب الموقعي بين صوت الشين (š) وصوت الباء، بطريقة المخالفة، وفيها بقيت الحركة المزدوجة (aw) ثابتةً دون تغيير، لكونها مقلوبة.

وظاهرة التبادل الموقعي بين الأصوات معروفة في اللغات بعامة عن طريق المخالفة، من نحو ما رأينا من تبادل بين مواقع أصوات الشين والباء والواو في

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (بوش) :٢٦٩/٦ و(وبش):٣٦٧/٦.

اللفظة السابقة (أوباش) وتقلباتها، وما يحدث بين صوتي السين والواو من جهة، وبين صوتي الواو والياء من جهة أخرى، كما في لفظة (قُوُوس ← قُسُوْ ← قِسِيّ) في العربية، وبين صوت السين و الكاف في الإنجليزية، في كلمة (الاكسندر ← الاسكندر)، وبين الصوت الشفوي (f) وصوت الصفير (s) في الحبشية، في مثل كلمة (efsentū> ← esfentū>) بمعنى (كَمْ) وبين صوت الصفير(š) وصوت الشفة (p) في الآشورية في مثل كلمة:(dipšu ← dišpu) بمعنى (عسل)[1].

(١) انظر مزيداً من الأمثلة: بروكلمان، **فقه اللغات السامية**، ص:٢١.

٢. وقوع شبه الحركة (نصف المدّ) بين حركتين (صوتي مدّ) :

إن وقوع الصوت الصامت أو نصف الصامت بين صوتي مدّ، يجعل منه عرضة إلى الاضمحلال أو الضعف أو الانحراف عن مخرجه، وهذا قانون صوتي سمي بقانون الوقوع بين صوتي مدّ (Intervocalic Position)[١]، على نحو ما نرى في صيغة الجمع (الموائد والمآود)، جاء في اللسان: "قال الأزهري : ومن المقلوب : الموائد والمآود :الدواهي " [٢]، وبناءً على الجذر (ميد)، فإني أرى الهمزة في كل من (الموائد) و(المآود) صوتاً غير أصيل، مقحماً جيء به للتخلص من الازدواج الحركي، والأصل هو (مياید/mayāyid) وفيه نلحظ تتابع حركتين مزدوجتين صاعدتين (yā) و(yi)، وهو ما زاد النطق ثقلاً، فضلاً عن وقوع شبه الحركة في كل منهما بين حركتين : فقد وقعت شبه الحركة الأولى(y) بين الحركتين (a) و(ā)، وشبه الحركة الثانية بين الحركتين (ā) و(i):

أما الازدواج الحركي الأول (yā)، فإن ما حدث فيه هو مجرد مخالفة شبه الحركة (y) إلى شبه الحركة (w)، فنتجت صيغة الجمع الافتراضية (موايد/mawāyid)، ولكن هذه الصيغة ما زالت تشتمل على تتابع ثقيل متمثلاً بالمزدوج (yi)، الذي حذفت منه شبه الحركة(y) فالتقت إثر هذا الحذف حركتان، لا تصلح الثانية منهما لأن تكون بداية للمقطع (id)، فنتج (Hiatus) مرفوض على نحو ما يتشكل في(بايع/bāyi<)ونحوه بعد حذف شبه الحركة منه، الأمر الذي أدى إلى اجتلاب الهمزة، تخلصاً من الحرج المقطعي الحاصل، لتكون حدّ ابتداء للمقطع بعد ذلك طفت على السطح الصيغة النهائية (موائد /mawā>id):

مياید	موايد	موا..د	موائد
mayāyid ←	mawāyid ←	mawā..id	← mawā>id

(١) (باي (د.ت) :١٤٣ ، وعمر ١٩٩١:٢٨٣)

(٢) (ابن المنظور ١٩٥٥:(ميد) :٤٢١/٣)

الأصل بالمخالفة التقاء الحركات إقحام الهمزة
(Hiatus) لتصحيح المقطع

وكذلك في صيغة الجمع (مسائية/masā>iyah) التي أصلها (مساوئة /masāwi>ah) [١]، أدى وقوع شبه الحركة(w) بين الفتحة الطويلة، والكسرة القصيرة، إلى أن تتبادل مع الهمزة موقعها، فنتجت الصيغة الافتراضية (مسائوة/masā>iwah)، ثم خولفت إلى شبه الحركة(y) تحت تأثير الكسرة المجاورة، فنتجت الصيغة النهائية (مسائية/masā>iyah) :

مساوئة مسائوة مسائية
masāwi>ah ← masā>iwah ← masā>iyah
الأصل في حالة الوقف تناوب موقعي بين مخالفة(w) إلى(y) بتأثير
الهمزة وشبه الحركة الكسرة

ومن الصيغ التي تتجلى فيها صورة التناوب الموقعي، بين شبه الحركة والهمزة أيضاً صيغة الجمع (اليآئي) وأصلها (اليآيئ) جمع (اليؤيؤ) وهو طائر من الجوارح[٢]، بسبب وقوعها بين حركتين أيضاً، وهذا التناوب في المواقع أدى إلى تطرف شبه الحركة، وإذا تطرفت شبه الحركة حذفت، وعوض من الخلل الناتج عن الحذف بمدّ الحركة :

يآيئ يآئي يآئِـ.. يآئي
ya>āyi> ← ya>ā>iy ← ya>ā>i.. ← ya>ā>ī
الأصل تناوب موقعي/تطرف حذف التعويض بمدّ الحركة

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (سوأ) : ٥١١/٦.
(٢) ابن منظور، **لسان العرب**،(يأيأ) :٢٠٢/١٢

شبه الحركة شبه الحركة (الصيغة النهائية)

ويمكن أن نفسر التحول الطارئ على هذه البنية، من وجهة نظر أخرى، وهو أن همزةً أقحمت، تخلصاً من التقاء الحركتين (Hiatus) الحاصل إثر حذف شبه الحركة من الأصل (يآيئ/ya>āyi<)، على نحو ما تُقحم في الأصل من المفرد (بايع/bāyi<) بعد حذف شبه الحركة منه، فتبرز الصيغة (ya>ā>i<)، وبهذا تتوالى همزتان في مقطع واحد، وليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان، فتحققا[١]، والقانون الصوتي يقضي بحذف الهمزة الثانية، في مثل هذه الحالة مع مدّ الحركة قبلها[٢] فتصبح: (ya>ā>i):

يآيِئ يآ..ئ يآئِئ يآئِ..
يآئي

ya>āyi< ← ya>ā..i> ← ya>ā>i> ← ya>ā>i.. ← ya>a>ī

الأصل حذف شبه الحركة إقحام الهمزة حذف الهمزة
التعويض بمدّ الحركة
الثانية

(الصيغة النهائية)

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت(د.ت)، مصور عن طبعة الهيئة المصرية للكتاب:٣/٥٤٩

(٢) برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص:٣٩، الشايب، فوزي، **تأملات في بعض مظاهر الحذف الصرفي**، حوليات جامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة الثانية والستون ١٩٨٩م ص:٤٩-٥٠

ومثل ذلك صيغة الجمع (أيامى/ayāmā>) التي أصلها (أيايم/ayāyim>) جاء في اللسان: " الأيِّمُ من النساء التي لا زوج لها، وجَمْعُ الأيّم أيايمُ وأيامَى " [١]، نلاحظ في الأصل (ayāyim>) وقوع شبه الحركة (y) بين الحركتين: الفتحة الطويلة والكسرة القصيرة، مما جعلها تتناوب الموقع مع صوت الميم(m)، في نهاية البنية فنتجت إثر ذلك الصيغة المفترضة (أيامي /ayāmiy>) وفيها تطرفت شبه الحركة، فسقطت، فعُوّض من ذلك السقوط بمدّ الكسرة فصارت (أيامي/ayāmī>)، وفي المرحلة الأخيرة خولفت الكسرة الطويلة إلى فتحة طويلة لإحداث الانسجام المدّي[٢]، ولعلّ الذي حدث كان بتأثير الفتحة الطويلة الأولى فصارت (أيامَى/ayāmā>) وعلى النحو التالي :

أيايم أيامي أيامِ أيامِي أيامَى
ayāyim> ← ayāmiy> ← ayāmi> ← ayāmī> ← ayāmā>
الأصل التناوب الموقعي حذف شبه الحركة التعويض بمدّ الحركة المخالفة (الصيغة النهائية)
تطرف شبه الحركة

وقد حدث هذا التناوب الموقعي أيضاً بين شبه الحركة وصوت آخر هو العين في صيغة الجمع (شوائع) وتعني متفرقات[٣]، إذ إن الأصل (شوايع/šawāyi>) وإنما جيء بالهمزة تخلصاً من التقاء الحركتين الحاصل بعد

(١) ابن منظور، **الكتاب**،(أيم) :٣٩/١٢
(٢) حجازي، محمود فهمي،**علم اللغة العربية – مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية**،دار الثقافة،القاهرة١٩٧٩م ص:٦٨ .
(٣) ابن عصفور الإشبيلي، علي بن مؤمن، **المقرب**، تحقيق عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٦م ص:٣٩١ .

سقوط شبه الحركة (Hiatus)، فصارت (شوائع/šawā>i<)، ففي (šawāyi<) وقعت شبه الحركة بين حركتين، كما هو واضح فتبادلت موقعها مع العين، فصارت (شواعي/šawā<iy)، فتطرفت شبه الحركة فحذفت ومدّت الحركة قبلها فنتجت الصيغة النهائية (شواعي/šawā<i):

شوايِع	شواعِيْ	شواعِ		شواعِي
šawāyi<	šawā<iy ←	šawā<i	←	šawā<ī
الأصل	التناوب الموقعي	حذف شبه الحركة		مدّ الحركة تعويضاً
	وتطرف شبه الحركة			(الصيغة النهائية)

أما (شواعٍ) فإنها (شواعي/šawa< ī) أضيف إليها التنوين الذي هو في حقيقته الصوتية نون ساكنة وما أن أضيف إليها نون ساكنة (تنوين)، فتشكل إثر ذلك مقطع مرفوض (طويل مغلق)، فقصّرت لذلك حركته منعاً لالتقاء الساكنين، كما يوضح التحليل الصوتي التالي:

شواعي + تنوين		شواعي ن		شواعٍ
n + šawā< ī	←	šawā<ī n	←	šawā<in
الصيغة النهائية مع التنوين		مقطع مرفوض		تقصير حركة المقطع

وقد تناوبت شبه الحركة أيضاً موقعها مع صوت اللام، في صيغة الجمع (أوالي) المقلوبة عن (أوائل) التي أصلها (أواوِل/awāwil>) لأن مفردها (أوَّل)، إذ نرى الأصل محتوياً على شبه حركة(w) واقعة بين حركتين الأمر الذي دعا إلى أن يحدث تناوب موقعي بينها وبين صوت اللام، فحصل تحول آخر تمثل بالصيغة الافتراضية(أوالِوْ/awāliw>) وهنا تطرفت شبه الحركة فسقطت، ومدت الحركة قبلها تعويضاً، فصارت (أوالي/ awālī>):

أواول	أوالِوْ	أوالِ..	أوالي

>awāwil ← >awāliw ← >awāli.. ← >awalī

الأصل تناوب موقعي/ حذف شبه الحركة مدّ الحركة للتعويض مع تطرف شبه الحركة

وكذلك شبه الحركة وصوت الصفير (السين s)، أخذ كل منهما موقع الآخر في صيغة الجمع (قِسِيّ/ḳisiyy) التي أصلها (قووس/ḳuwūs)، والتي فيها وقعت شبه الحركة(w) بين ضمتين: طويلة وقصيرة فتغير موقعها إلى موقع السين ونقلت السين إلى مكانها، فصارت (قُسُوْ/ḳusūw)، وهنا تشكل مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، وهو غير مقبول على هذه الحالة، لأنه يشكل عنصر خلخلة وتوهين في الصيغة بسبب طول الفسحة الزمنية التي يستغرقها نطقه[١]، تمّ التخلص منه عن طريق تقصير الصائت الطويل، مع التشديد أو التضعيف– بوصفه وسيلة لبناء الكلمات، أو نتيجة للمماثلة الصوتية في اللغات السامية[٢]، كما أن التشديد يعدّ وسيلة للتعويض من الجزء المختزل من صوت المد الطويل، فخرجت الصيغة (قُسُوّ/ḳusuww)، ثم خولفت الياء المشددة لوقوعها طرفاً إلى واو مشددة، فصارت (قُسُيّ/ḳusuyy)، ثم قلبت الضمة القصيرة بعد السين تحت تأثير الياء المجاورة إلى كسرة على سبيل التآلف، فنتجت الصيغة (قُسِيّ/ḳusiyy)، وفي تحول آخر تبعت الضمة الأولى الكسرة بطريق المخالفة ليحدث ما يعرف في الدراسات الصوتية بـ(الانسجام المدّي) بين

(١) الشايب، فوزي، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**، رسالة دكتوراه،جامعة عين شمس ١٩٨٣م ص:١٢٩ .

(٢) بروكلمان، **فقه اللغات السامية**، ص:٤٤، عمايرة، إسماعيل أحمد، **بحوث في الاستشراق واللغة**، دار البشير، عمان ١٩٩٦م ص :٢٦٠

الأصوات لكيلا ينتقل اللسان من ضمّ إلى كسر[١]، فنتجت الصيغة (قِسِيّ/kisiyy)[٢]، فأصبحت القاف مكسورة تبعاً لكسرة السين[٣] :

قُسُيّ	قُسُوّ	قُسُوْ	قُووس
قُسِيّ	قِسِيّ		
kusuyy ←	kusuww ←	kusūw ←	kuwūs
		kisiyy ←	kusiyy
مخالفة	تقصير الحركة	التناوب الموقعي	الأصل
		مخالفة	مخالفة
yy إلى ww	مع التشديد	بين شبه الحركة والسين	
	u إلىi		i إلى u

(١) حجازي محمود فهمي،**علم اللغة العربية –مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية** دار الثقافة، القاهرة١٩٧٩م ص:٦٨ ، والمطلبي، **في الأصوات اللغوية**، ص :٥٠.

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص :٦٤ و ٨١.

(٣) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص :٦١.

وأخيراً فلعلنا نستطيع – اعتماداً على هذه النظرة الصوتية الحديثة والنظريات الصوتية التي جاد بها علماء الصوت في نظرتهم إلى اللغات الإنسانية بشكل عام – أن نحرر اللغة من قيد الشروط التي وضعها النحاة العرب القدامى لما جُمع من مفرداتها على النحو الذي نصّوا عليه ذلك القيد الذي يحدّ من سَعَة العربية وحيويتها وقدرتها على توليد الصيغ المتعددة بطرق متعددة، ويقيّد من حريتها المتمثلة في ذلك الحراك اللغوي الذي يغني معجمها، ولا يفتأ يمدّه بفيض غزير من المفردات المتلاحقة المتجددة، والتي تستعمل جنباً إلى جنب مع المفردات القديمة، ولعل تلك النظرة الصوتية الحديثة تثبت أن لغتنا العربية لغة عالمية.

والله ولي التوفيق